

كلمة الدكتور عبد الرؤوف سنو في حفل منح وسام الاستحقاق الألماني المعهد الألماني للأبحاث  
الشرقية، 12 أغسطس 2009

قد لا يخطر في بال البعض حجم العلاقة التي ربطت في الماضى بين ألمانيا والعالم العربي وتربطهما في الحاضر، ولا مدى عمقها وتطورها عبر السنين. فاكتمت، رغم بُعد المسافة بينهما، صفة الاستمرارية، وتميزت بالإيجابية والجهود لتعزيزها.

منذ العصور الوسطى، أبدى الألمان والعرب اهتماماً بمعرفة بعضهما البعض؛ فحدثت اتصالات بين شارل الكبير والخليفة هارون الرشيد في نهاية القرن الثامن، فيما كانت السلع الألمانية تجد رواجاً في بلدان البحر المتوسط. كما عمل فريدريك الثاني هوهنشتاوفن، إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة وملك ألمانيا وصقلية، على رعاية الثقافة العربية، وتطور هذا الاهتمام في العصور الحديثة على يدي جامعتي هايدلبرغ وتوبنغن. وفي عام 1845، تأسست في هاله "جمعية المستشرقين الألمان"، التي قدمت أفضل الدراسات عن المنطقة.

وفي القرن التاسع عشر، نال المشرق العربي ولبنان خاصة، اهتماماً ملحوظاً في سياسة ألمانيا، من خلال عمل جمعياتها التبشيرية، وجمعيات التنقيب عن الآثار، فضلاً عن إنشاء المدارس والمستشفيات. كما تعززت علاقات ألمانيا بالإسلام ممثلاً بالدولة العثمانية، نتيجة حصول الأخيرة على الدعم الألماني. ما أدى إلى توطيد ألمانيا مصالحها الاقتصادية مع السلطنة، وأهمها بناء خط حديد بغداد. وتتويجا لذلك، ساهم الإمبراطور وليم الثاني في بلاد الشام عام 1898. مهدت هذه العلاقات لقيام تحالف بين الدولتين في الحرب العالمية الأولى، وإلى تطلع حركة القومية العربية عشية الحرب العالمية الثانية وخلالها إلى ألمانيا لدعم استقلالها عن بريطانيا وفرنسا.

رغم انقسام ألمانيا إلى دولتين عقب الحرب العالمية الثانية، رفضت الحكومات اللبنانية توطيد علاقاتها بألمانيا الديمقراطية. شعبياً، نظر اللبنانيون والعرب إلى ألمانيا على أنها ألمانيا الاتحادية التي تقدم المساعدات الاقتصادية والتنمية إلى بلدانهم، وتنتشر مؤسساتها العلمية والثقافية في المنطقة. وبسبب ما تتمتع به ألمانيا من سمعة عالية، يفتخر اللبنانيون والعرب بالدراسة في جامعاتها ومعاهدها، وبأن "صنع في ألمانيا" (Made in Germany)، كان صفة دائمة للجودة التي أحبواها.

سياسياً، أخذت الحكومة الاتحادية تسير منذ عام 1969 في سياسة متوازنة تجاه الصراع العربي - الإسرائيلي، بتأكيد حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، ولا تزال هذه السياسة معلماً ثابتاً، فتدعم ألمانيا حل الدولتين. وبالنسبة إلى لبنان، دعمت ألمانيا استقراره وسلمه الأهلي أثناء الحرب بين عامي 1975 و1990، وقامت عام 2007 بإرسال وحداتها البحرية لمراقبة سواحله بموجب القرار الأممي رقم 1701. كما قدمت الدعم للجيش اللبناني وللبحرية اللبنانية.

لقد تشعبت العلاقات بين ألمانيا والعرب والمسلمين، واتسمت بالمودة والاحترام. لذا، عكفت، أيها الحضور الكريم، طوال العقود الثلاثة المنصرمة على الإضاءة على أوجه عديدة لهذه العلاقات. وقد أغنت ألمانيا، الدولة والمؤسسات الجامعية والبحثية ودور المحفوظات، مساري العلمي عبر إتاحة الفرصة أمامي للتزود بثقافة علمية حديثة. ولولا هذا الدعم، لما تمكنت من تسليط

الضوء على التاريخ الحديث والمعاصر من بوابته الألمانية. وقد وضعت معارفي العلمية في خدمة الشعبين الألماني والعربي. فلحكومة ألمانيا الاتحادية، التي أثبتت على الدوام عمق صداقتها للبنان، خالص شكري وامتناني على منحي هذا الوسام، فهو تقدير لدوري في تعميق الصداقة والتلاقي بين الشعبين الألماني واللبناني. ولسعادة سفيرة ألمانيا في لبنان السيدة بيرغيتا زيفكر – أيبيرلي ومساعدتها كل الشكر على الدعوة إلى هذا الاحتفال ورعايته، متمنياً لها النجاح في تعزيز أواصر الصداقة بين الشعبين الألماني واللبناني. وللصديق الأستاذ الدكتور شتيفان ليدر ومساعديه كل الشكر والمحبة على الموازرة والدعم. ولكم أحبائي أصحاب المعالي والسعادة والزملاء والأصدقاء خالص امتناني وشكري على تشريفكم هذا الحفل.